فنون بلاد الرافدين في عهد الدولة البابلية الحديثة

إن الأثار الحالية تعود في مجملها إلى عهد الملك بوخذنصر و نابونيد، و التي تزال في مجملها مطمورة تحت رمال الصحراء، و لحسن الحظ وصلتنا خمسة الواح طينية تسمى (طبوغرافية بابل)، Topographie de Babyloneو هي غنية بالمعلومات عن تخطيط المدينة، و اهم مبانيها و أساميها، و مظهرها و عادات سكان المدينة. و كان الهدف من هذه اللوحات هدف ديني حيث حاول كهنة بابل تمجيد المدينة و شرح سر اهميتها الدينية.

أهم ما يميز مدينة بابل هو تخطيطها بشكل مستطيل منتظم (شكل رقم 01)، يخترقها نهر الفرات، و مقسمة إلىَ 10 احياء : 6 على الضفة الشرقية و 4 على الضفة الغربية للنهر، و كانت مباني هذه الأحياء منتظمة وفق شوارع رئيسية موازية للنهر تتقاطع مع شوارع ثانوية عمودية عليه تتقاطع بزوايا قائمة و هو التخطيط الذي يسمى المخطط الشطرنجي، و لكل حي به معبد.

بوسط المدينة تقع المدينة الداخلية، يحيط بها صور مزدوج من الآجر، طوله 6 كم، كانت تتخلله 8 أبواب عثر على بقايا أربعة منها. و يتخللها شارع الاحتفالات الرسمية يمتد من الشمال إلى الجنوب، تم الكشف على 900 م منه، و على جانبيه جدران ارتفاعها 7 م كانت تؤدي من بوابة عشتار في الجهة الشمالية إلى غاية الزاقورة، تذكر المصادر التاريخية إلى 43 معبد تم الكشف على البعض منها.

شكل رقم 01 : مخطط مدينة بابل في عهد بوخذنصر

PDF Creator Trial

لقد ابهرت اسوار المدينة المؤرخين القدمى الذين اعتبروها واحدة من عجائب العالم، و يذكر المؤرخ اليوناني هيرودوت أنها كانت بطول 64 كم (360 ستاد)، و قد شرع في بناءها نابوبولاسار و أكملها بوخذنصر.

و كانت هذه التحصينات تتكون من صور داخلي من الطين المجفف سمكه 7 م، يليه بعد مسافة 12 م صور ثان من الآجر المشوي ارتفاعه 7.8 م، ثم صور ثالث من الآجر المحروق أيضا ارتفاعه 3.25 م، يليه خندق يتراوح عرضه ما بين 80 و 100 م، كانت الصورين الأول و الثاني برج كل 18 م، بها 8 أبواب تحمل أسماء تتمثل في عبارات دينية متبوعة باسم أحد الآلهة التي يرجى منها حماية المدينة، و منها، أوراش، زبابة، عشتار، أنليل، شمش، أداد، مردوخ، كانت تنطلق من هذه البوابات الاحتفالات الخاصة بتلك الألهة. الدخول إلى المدينة يتم عبر شارع عظيم بطول 250 م على جانبيه أسوار سمكها 7م، تتخللها ثلاث حصون، و أبراج على مسافات متساوية، و مزينة ب 120 اسدا بالآجر ذو المينا متعددة الألوان.

صورة رقم 01: لوحة زخرفية بالاجر ذو المينا من احد قصور بابل

القصور البابلية

كانت بالمدينة العديد من القصور، منها الضيف، القصر الجنوبي و القصر الشمالي، أهم هذه القصور، القصر الشمالي الذي يغطي مساحة 322 م على 190 م، و هو القصر الي شرع في بناءه نابوبولاسار، و وسعه بوخذنصر، و يتكون من خمس مجموعات من المباني، كل مجموعة تتمحور ساحة مركزية طولها 56 م. قاعة العرش كانت تفتح على الجهة الجنوبية من الساحة المركزية، تبلغ طولها 52 م و عرضها 17 م، و كان العرش في حنية مقابلة للمدخل.

و من الناحية الفنية لم يتبق منها سوى القليل من الزخارف التي كانت تزين جدران ساحات القصر، و هي عبارة عن لوحات من الأجر ذو البريق المعدني زرقاء تزينها زخارف نباتية جميلة عبارة صف من أشجار النخيل باللون البني و الأخضر مشكلة بأسلوب تجريدي بعيدة عن شكلها الطبيعي، و يحيط بها إطار نباتي من الازهار متعددة الألوان شكلت بدورها بأسلوب تجريدي، و هذا ما يؤكد توجه الفن في بلاد الرافدين منذ هذا عهد نحو تمثيل العناصر النباتية بشكل تجريدي بعيدة عن شكلها الطبيعي,

PDF Creator Trial

بوابة عشتار (صورة رقم 02)

و تعد أهم المعالم البابلية التي وصلتنا، و التي تعطينا و لو صورة جزئية عما بلغته العمارة و الفن في عهد الدولة البابلية الحديثة، و قام ببنائها الملك بوخذنصر كما تشير إلى ذلك الكتابة التأسيسية، اكتشفت سنة 1902، حيث تم تفكيكها كليا و أُعيد بناءها في متحف برلين. و عي عبارة عن بوابة ضخمة يبلغ ارتفاعها 23 م، تقع عند المدخل الشمالي المدينة الداخلية، و عندها كان ينهي شارع الاحتفالات، عندما يعود الملك بعد حملاته العسكرية المظفرة أو الاحتفالات الدينية.

صورة رقم 02 : بوابة عشتار

و كان يصل إلى البوابة عن طريق ممر منحدر بعرض ما بين 20 و 24 م، من الأجر و مغطى بالبلاطات الحجرية، و كانت المواكب الاحتفالات الدينية تجتاز البوابة بمحاذاة الجدار الشرقي للقصر الجنوبي، ثم تنحرف غربا حول المجمع الذي يحتضن الزاقورة (I'E-temen-an-ki) لتصل الجسر الذي يجتاز النهر.

البوابة في حد ذاتها (صورة رقم 02) كان يبلغ طولها 48 م و لكن في الوقت الراهن لم يتبق منها إلا القسم الأمامي الذي يبلغ ارتفاعه 23 م، و كانت تتكون من بوابتين بمدخل واحد، كل وحدة مرتبطة بسور المدينة، المدخل ذو عقد نصف دائري و يغطيه قبو مهدي و يحميها برجين على الطرفين و تنتهي بشرَّفات مسننة. و هي مبنية بالأجر المشوي و مكسوة بطبقة خارجية من الاجر ذو المينا أزرق اللون يشكل أرضية او خلفية لعناصر زخرفية متنوعة بارزة و متعددة الألوان، و تتمثل في صفوف من حيوان خرافي و هو التنين و هو رمز الأله مردوخ (صورة رقم 03) و الثور و هو رمز الأله أداد إله

PDF Creator Trial

العواصف و الرعد (صورة رقم 04)، و هي بشكل متناوب باللون الأبيض و الأصفر، و تؤطرها أفاريز جميلة مكون من صف من ازهار الاقحوان البيضاء

و تعد هذه البوابة أروع ما وصلنا من الفنون التي ازدهرت في عهد الدولة البابلية الحديثة و بشكل خاص فن الأجر ذو المينا الذي بلغ في هذه البوابة أرقى مستوياته، و كذلك تشكيل نوع من الاجر ذو العناصر الزخرفية بواسطة تقنية القولبة. و سيكون له لاحقا تأثيرا كبيرا على فنون الشرق القديم خاصة في عهد الأخمينيين و إلى غاية العهد الإسلامي.

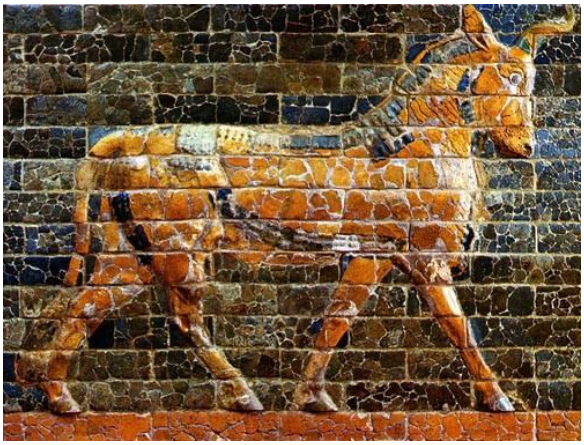

خلاصة

تعد حضارة بلاد الرافدين من بين حضارات العالم القديم التي كان لها دورا رياديا في تطور الحضارة الانسانية بما قدمته من اختراعات و ابتكارات في جميع المجالات. فبلاد الرافدين كانت من أول المناطق التي شهدت ظهور الزراعة و استئناس الحيوانات و ابتكار العجلة و الدولاب و الابداع في صناعة الفخار و تصديره على نطاق واسع. كما عرفت ضهور أولى المدن و القرى في العالم و ضهور اولى المجتمعات الحضرية. و اختراع الكتابة التي كان لها دورا مميزا في تطور الحضارة الانسانية، و يرجع الفضل الى سكان بلاد الرافدين القدامى لتأليف اولى الاشعار و الملحمات في تاريخ البشرية. و في مجالات كثيرة في الدين و الفكر و العلوم و العمارة و الفنون التي انتقلت إلى بلاد اليونان القديمة و منها إلى روما ثم إلى أوروبا، و لا يمكن تصور الحضارة الانسانية التي تسود قسم كبير من العالم لولا ما قدمه سكان بلاد الرافدين القدامى للبشرية في جميع الميادين.

PDF Creator Trial